المملكة العربية السعودية

DEANSHIP OF
LIBRARY AFFAIRS

جامعة الملك سعود

عمادة شؤون المكتبات

Kingdom of Saudi Arabia

King Saud University

P.O. Box 22458, Riyadh - 11495

NO. .... : الرقم

٥
١
٤

٢١٤

ش ٠ خ شرح الفقه الاكبر لأبى حنيفه تأليف الخطيرى

اسماعيل بن اسحق - كان حيا قبـــــل

٩١٢هـ ٠ بخط محمد بيك فليه وى سنـــة

١٠٦١هـ

٢٠×١٥سم

١٩ س

١٦ ق

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد ٠

٥٠٠٣ ورد على صفحة العنوان أنه مطيع الحكم

بن عبد الله البلخى ٠

الازهرية ٣: ٢٢٩

١ - أصول الدين أ - المؤلــــف

ب - الناسخ - تاريخ النسخ

أ ٤

هذا كتاب الفقه الاكبر لابي حنيفة رحمه الله

شرح اصول الدين وهو كراسين لابي مطيع الحكم

بن عبد الله البلخي رحمه الله

الحمد وكفى ... من كتب الحقير ... مصطفى حسين الحسيني عفى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لمستحق الحمد قبل عباده وصلى الله على محمد وآله اجمعين
اما بعد فقد سألتموني اكرمكم الله تعالى بالتقوى ان اشرح لكم
الفقه الاكبر الذي ينسب الى ابي حنيفة رضي الله عنه باسانيد
صحيحة فاجبت ملتمسكم بعون الله تعالى وحسن توفيقه انه المعين
والموفق قال ابو حنيفة رحمه الله لا نكفر احدا بذنب ولا ننفي احدا
من الايمان قال رحمه الله هذه المسألة مختلف فيها قالت الخوارج
اذا ارتكب المؤمن كبيرة من الكبائر فانه يكفر ويزول عنه الايمان
وقالت القدرية والمعتزلة يخرج بها من الايمان ولا يدخل في الكفر
ويكون بينهما فاذا تاب الى الله تعالى ورجع عنها يدخل في حيز الايمان
واذا مات قبل ان يتوب عنه يدخل في حيز الكفر ويخلد في النار
واحتجت المعتزلة بقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها اخبر انه يخلد في النار والخلود المقطوع به انما هو للكافر
الا انا نقول لهم انما قلتم واحتججتم بهذه الآية لضلالتكم ومخالفتكم
الاجماع فلو ساعدتكم السعادة لاتبعتم السنة وما ابتدعتم وما
خالفتم الصحابة لان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم
من اهل التفسير اجمعوا على ان المراد بالآية استحلال القتل وهكذا
قال

قال ابن عباس رضه وهو ترجمان القرآن وعلى انا لا نسلم ان الخلود
يعبر به عن الابد وانما يعبر به عن طول الزمان وقد اجمعوا على هذا
ارباب اللسان واصحاب البيان لانه يقال اخلد الامير فلانا في السجن
اي اطال حبسه فيه وقال الله تعالى خبرا عن بلعام بن باعورا ولكنه
اخلد الى الارض اي مال اليها واطمأن بها فان قيل يروى عن النبي عم انه قال
من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وفي حديث آخر بين الكفر والايمان ترك
الصلوة قلنا تأويل الخبر كتأويل الآية على ما بيناه من الدليل على ان الايمان
لا يرتفع بالكبيرة لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا امر بالتثبت
في نبأ الفاسق فلو صار كافرا لنهى عن قبول شهادته وحد ماعز بن
مالك رضه ايضا لما اقر بالزنا بين يدي النبي عم امر برجمه فلو صار مرتدا
لامر بقتله او يسترجعه الى الاسلام والمعنى فيه ان الايمان محله
القلب والمعاصي محله الاعضاء وهما محلين مختلفين فلا يتنافيان
وقوله وان نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وهذه مسألة مختلف فيها
بيننا وبين المجبرة لانه لا يرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا
واحتجوا بقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قلنا الآية في نفي المضرة
وبه نقول ان مضرة المعصية لا يتعدى العاصي كما قال الله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى وانما عرف وجوب الامر بالمعروف بآية اخرى
وهو قوله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله عم وان
ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وهذه مسألة

بيننا وبين القدرية والمعتزلة انهما ينفيان ارادة الله تعالى ومشيته عن
فعل العبد اذا كانت معصية فقالوا ان معصية العاصي وكفر الكافر ليس
بمشية الله تعالى وارادته لانه لو اراد معصية العاصي وكفر الكافر ثم عذبه
عليها كان ذلك جورا منه وحاشا ان يوصف الله تعالى بالجور والظلم ولهذا
يسموننا اهل الجور وسموا انفسهم اهل العدل قلنا لهم هذا من سخافتكم
وجرائتكم على الله تعالى وقلة عقولكم وعدم فهمكم حيث غلبتم ارادة
المخلوق على ارادة الخالق وحاشا ان يغلب ارادة الله تعالى بل هي غالبة
ومشيته نافذة ولا يكون بارادته معصية العاصي وكفر الكافر جايرا
لانه بين لهم طريق الهدى والضلالة وان الله تعالى يحدث لهم الاستطاعة
ساعة فساعة وليس لهم ان يعرفوا حقيقة الارادة اذ لو عرفوها لكانوا
امثاله وحاشا ان يوصف الله تعالى بالامثال ثم المذهب الصحيح هو مذهب
اهل السنة والجماعة ان افعال العباد على نوعين منها ما هو طاعة ومنها
ما هو معصية فالطاعة بمشية الله تعالى وارادته وقضائه ورضاه وحكمه
وامره ان كان فرضا والمعصية بهذا كله دون رضاه وامره فان قيل
ما معنى قول الله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك قلنا معناه ان لا تضيف الشر الى الله تعالى عند الانفراد
مراعاة للادب وان كان حصوله ذلك بتخليق الله تعالى اياه وذلك لان
الاضافة على نوعين اضافة تحقيق واضافة اكرام فاضافة التحقيق
مثل قوله تعالى ولله ملك السموات والارض واضافة الاكرام مثل قوله تعالى

ناقة الله

ناقة الله ورسول الله والطاعة والمعصية خارجان عن اضافة التحقيق لان
ذلك مذهب الجبرية فبقيت اضافة الاكرام فالطاعة محكومة مرضية جاز
ان يضاف الى الله تعالى عند الانفراد فيقال الخير من الله تعالى والشر ليس بمحل
الاكرام حتى يضاف الى الله تعالى عند الانفراد ولكنه يضاف الى الله تعالى
عند الجملة كما قال الله تعالى قل كل من عند الله فان اشكل هذا عليك بالافعال
فاعتبره بالاعيان فانه لا يقال يا خالق الحيات والعقارب والخنازير
مراعاة للادب ولكن يقال يا خالق كل شيء وقوله ولا نتبرا من احد
من اصحاب النبي عم هذا بيننا وبين الروافضة انهم يتبرؤن من
الصحابة الا من علي رضوان الله عليهم اجمعين بقوله عم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي هذا اخبار كثيرة وقوله
لا نوالي احدا دون احد هذا بيننا وبين الشيعة انهم يوالون عليا
فحسب وهذا قريب من مذهب الروافضة ايضا وقد بينا فساده و
قوله وان نرد امر علي وعثمان رضي الله عنهما الى الله تعالى عالم
الخفيات لم نرد بهذا الشك في امرهما ولكنا اخترنا اسلم الطرق و
ان اشكلهما ان نكف السنتنا ونستعين بالله تعالى كما كف الله تعالى سيوفنا
عن تلك الفتنة قال ابو حنيفة رح الفقه في الدين افضل من الفقه
في العلم لان الفقه في الدين اصل والفقه في العلم فرع وفضل الاصل
على الفرع معلوم كما قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولا شك
ان العبادة لا تلزم الا بالاسلام لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس

فقه وهو فهم وقيل الاشياء الدقيقة
لان يقال فقهت ان السماء فوقنا وعن
ابي حنيفة رحمه وهو معرفة النفس
ما لها وما عليها اى الشر
والخير

الا ليعبدون اى يوحدون ثم العلم يبنى على الاسلام فصار الدين هو التوحيد
والعلم هو الديانة يعنى الشرايع وهى بعد التوحيد ثم الدين عقد على الصواب
والديانة سيرة على الصواب قال ابو مطيع البلخى قلت لابى حنيفة رضى الله عنه
فقال يتعلم الرجل الايمان يعنى احكام الدين والثبات عليه يعنى علم الحال
فهو ان يعرف العبد نفسه على اى حال هو فيكون مستعدا لاتيان ملك الموت
وعن هذا قال النبى عم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اراد به علم
الحال والحال التى يكون فيها وقتا يعرف نفسه كما قال ايضا من عرف نفسه فقد
عرف ربه والشرايع والسنن اراد بهما الحلال والحرام وقوله والحدود اراد بها
علم الاجتناب عن المعاصى والايتمار بالاوامر قال الله تعالى ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه وقوله واختلاف الامة رحمة اراد به علم النظر بدقايق
المعانى قياسا واستحسانا واستنباطا لا اختراعا من جهة النفس وهذا
لان الاشياء تعرف باضدادها فمن لم يعرف الكفر لا يعرف الايمان ومن لم
يعرف البدعة والضلالة لا يعرف الاهتداء والاستقامة فصل ثم اختلفوا
فى الاسلام والايمان قال بعضهم هما واحد لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وقال بعضهم هما متغايران لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فقد غاير بين الاسلام والايمان الا ان الاصح
ما قال ابو منصور الماتريدى رحمة الله ان الاسلام معرفة الله تعالى بلا كيف و
محله الصدر ومصداقه قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه والايمان معرفة الله تعالى بالوحدانية والالوهية ومحله القلب لقوله تعالى

ولكن

ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم والقلب داخل الصدر والمعرفة
معرفة الله تعالى بصفاته ومحلها الفؤاد وهو داخل القلب والتوحيد معرفة الله تعالى
بالوحدانية ومحله السر وهو داخل الفؤاد وهذا معنى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح الاية جعل الصدر بمنزلة المشكاة والقلب بمنزلة الزجاج و
الفؤاد بمنزلة المصباح والسر بمنزلة الشجر وداخل السر موضع يقال له خفى وهو
موضع نور الهداية ولا صنع للعبد فيه سوى ان الله تعالى اذا اراد ان يهدى
عبده الضال يلقى نوره الخفى فيتلألأ النور وهو معنى قوله تعالى فهو على نور من
ربه ثم يتلألأ النور الى السر فيقوم للعبد فعل التوحيد فيوحد الله تعالى ويتبرأ
عن الاصنام ثم لا يسكن ذلك النور بل يتلألأ الى الفؤاد فيقوم له فعل المعرفة
اى يحصل
فيصير عارفا بالله تعالى بجميع صفاته ثم يتلألأ ذلك النور الى القلب فيقوم له فعل
الايمان ثم يتلألأ الى الصدر فيقوم له فعل الاسلام ثم ينتشر ذلك النور فى الاعضاء
فيتقاضى العبد بالاجتناب عن المعاصى والايتمار بالاوامر فان امره فاجابه
العبد الى ذلك صار مؤمنا تقيا حتى دخل تحت قوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقيل للنبى عم من آلك قال آلى كل مؤمن تقى الى يوم القيمة وقيل
للنبى عم من احب الناس اليك قال كل مؤمن تقى وان لم يجبه الى ذلك
زال عنه التقوى واتسم بسمة الفسوق بارتكاب المعاصى فيخاف عليه الشقاوة
ويرجا المحض ايمانه فاذا صار ههنا عقود اربعة التوحيد والمعرفة والايمان
والاسلام ليست هى بواحدة ولا هى بمغايرة فاذا اجتمعت صارت دينا واحدا
معنى صح
وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وفى الكتاب اشارة بالايمان

والاسلام الى الخبر المروى عن النبى عم وهو معروف وابو منصور رحمه الله
انما ذكر الحقيقة قال فان استيقن بهذا واقر به فهو مؤمن لان الايمان
تصديق بالجنان واقرار باللسان فاذا صدقه بقلبه ولم يقر بلسانه
وهو فى امكان من الاقرار فانه لا يصير مؤمنا مالم يقر بلسانه ولم يصدق
بجنانه فان انكر شئ من خلقه فقال لا ادرى من خالق هذا كفر لان الله
تع خالق كل شئ وكذلك اذا قال لا اعلم ان الله فرض على الصلوة والصيام
والزكوة ام لا فقد كفر لان الفرض منصوص عليه وهو قوله تع اقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فان قال ومن بهذه الاية ولا اعلم تاويلها وتفسيرها
فانه لا يكفر لانه صدق بالتنزيل وان كان مخطئا فى التاويل قال فان اقر
بجملة الاسلام فى ارض الترك وهو لا يعلم شيئا من الفرايض ولا شرايع الاسلام
ولا الكتاب ولا يتقى شيئا منها فانه مؤمن فان كان لم يعلم شيئا ولم يعمل به
قال الفقيه ابو الليث رح هذا يفيد فائدتين احدهما ان الايمان بالتقليد
صحيح وان لم يهتد الى الاستدلال خلافا للمعتزلة والاشعرية انهما لا يصححان
الايمان بالتقليد ويقولان يكفر العامة وهذا قبيح لا اقبح من هذا لانه
يؤدى الى تفوية حكم الله تع فى الرسالة والنبوة لان من اعطى الرسالة والنبوة
امر ان لا بعرض الاسلام على الكفار فلو كان الاسلام لا يصح بالعرض
والتقليد لفاتت الحكمة فى الرسالة الا ان درجة الاستدلال اعلى من درجة
التقليد بالف مرة وكل من كان فى الاستدلال والاستنباط اكثر كان ايمانه
انور وهذا كما روى عن النبى عم انه قال لعمر لو وزن ايمان ابي بكر رض مع ايمان

جميع

جميع الخلايق لرجح ايمان ابى بكر يعنى من جهة النور والضياء لا من جهة الزيادة والنقصان
والفائدة الثانية ان الايمان اقرار باللسان وتصديق بالجنان والعمل بالشرايع لا من
الايمان وقالت السكاكية العمل من الايمان ومن هذا قالت بزيادة الايمان ونقصانه
واحتجت بقوله تع فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا الا انا نقول معنى الايمان ههنا
هو التصديق ايمانا اى تصديقا اذ الايمان لجميع القرآن واجب والقرآن كان ينزل
على النبى عم اية اية سورة فسورة فكلما نزلت اية كان يجب التصديق بها فمن لم يصدق
اية من القرآن فقد كفر كما لو لم يصدق لجميع القرآن فهذا تاويل الاية على ما بينا
ان الايمان عقد على الصواب فاذا انتقص شئ من العقد انحل كله ثم القول
بان العمل من الايمان اقبح من قول المعتزلة ان الايمان لا يصح بالتقليد لانه يؤدى
الى ابطال خطاب الله تع انما خاطب بالعمل من صح ايمانه حيث قال الله تع يا ايها
الذين امنوا فلو كان الوضوء والصلوة والزكوة من الايمان لدخل فى خطاب الايمان
وبطل خطاب الامر بالعمل او يتوجه عليه خطاب الامر بالعمل بعد الموت والموت قاطع
للعمل لان الله تع شرط العمل الصالح مع الايمان واعطاء الثواب بقوله تع ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقال الا من تاب وامن وعمل صالحا وايات نطقت بها
تدل على ان الايمان محله القلب والعمل محله الجوارح فمن جعل احدهما من الاخر
فقد ابعد النجعة لانه ابعد محله وكفى به شينا وقبحا وقوله ان تشهد ان لا اله
الا الله الى ان قال ان الله لا يفوض الاعمال الى احد اما الايمان فقد بيناه واما
تفويض الاعمال الى العباد فهو بيننا وبين القدرية فهم ينفون تقدير الله تع
فى المعاصى والشر ويقولون بان الله تع بين الفريقين وفوض الاعمال الى العباد

ان شاء يختار الخير وان شاء يختار الشر وافعاله ليست بمخلوقة الله تع تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا واما عند اهل السنة والجماعة افعال العباد مخلوقة الله تع
وهو خالق الاعيان واحتجت بقوله تع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
قلنا هذه الآية وعيد من الله تع ليس على تفويض الفعل الا ترى انه قال
انا اعتدنا للكافرين نارا يدل عليه قوله تع كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله والدليل عليه قوله تع والله خلقكم وما تعملون
وقال النبي عم اعملوا فكل ميسر لما خلق له فان قيل لو كان الله تع يقدر الفعل
ويخلقه فلم يعذبه على خلق نفسه قلنا الثواب والعقاب على استعمال الفعل
المخلوق لا على اصل الخلق ولهذا قال ابو حنيفة رض ان الاستطاعة التي يعمل
بها العبد المعصية هي بعينها تصلح العمل الطاعة وهو معاقب في صرف الاستطاعة
التي احدثها الله سبحانه وتعالى فيه وامر ان يستعملها في الطاعة دون المعصية
لا على احداث الاستطاعة ولهذا قلنا ان الاستطاعة مع الفعل لا قبله ولا
بعده لان كل جزء من الاستطاعة مقرون بكل جزء من الفعل وقالت القدرية
الاستطاعة قبل الفعل وهي موجودة في العبد استعملها كيف يشاء قلنا هذا
يوجب الاستغناء عن الله تع حيث يختار لنفسه ما شاء والاستغناء عن الله
كفر فان قيل يجب ان لا تنفي المشية ولكنا نقول المشية على نوعين مشية جبر و
مشية تفويض فمشية الجبر كخلق السموات والارض وما فيها وما بينهما ومشية
التفويض مثل قوله تع ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء
ويهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله مشية جبر اي لو شاء الله تع لجبركم

على

على الاسلام ولكن يضل من يشاء مشية تفويض وهذا اعتقاد العدلية قلنا لهم العجب
من ترهاتكم وغباوتكم كيف قسمتم مشية الله تع قسمين كانكم شركاء الله وتعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ثم نريكم قبح هذه المقالة ان الرجل اذا اجبر انسانا بين
امرين وفوض العمل بين طريقين يعني بين الخير والشر فان اختار الشر كان
معذورا اذ جعلتم العباد معذورين في ارتكاب المعاصي وان اختار الخير
يكون له على المفوض والمجبر اذن جعلتم للعباد منة على الله تع فما لكم كما لو
اجبر الرجل امراته في المقام معه ان شاءت قامت وان شاءت فارقت فافهم
ان شاء الله تع ثم المذهب الصحيح هو مذهب اهل السنة والجماعة ان للعبد
فعل على الحقيقة لا مجاز وقالت الجبرية لا فعل للعبد اوله فعل مجاز لا حقيقة
ونرد عليهم فنقول ان قولكم هذا يؤدي الى اسقاط الرجاء والخوف عن العبد
لانه لا يخاف على سوء فعله ولا يرجو على خير عمله وهذا كفر صريح لان في
زوال الرجاء قنوط قال الله تع لا تقنطوا من رحمة الله وقال عز وجل انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفي زوال الخوف اسقاط العبودية
وتفوية الربوبية وهذا اشر من الاول فقد ضل الفريقان جميعا القدرية
باضافة صفة الله تع الى نفسها وهي خلق الافعال والمجبرة باضافة افعاله
القبيحة الى الله تع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتوسط ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله وقالوا الخلق فعل الله تع وهو احداث الاستطاعة في العبد و
استعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا على ما بينا فسلموا من
الجبر والقدر واختلاف آخر بيننا وبين الاشعرية انهم يقولون الاستطاعة

التي تصلح للشر لا تصلح للخير وهذا قريب من الجبر ايضا بل هو عين الجبر لان
استطاعة الشر اذا كانت لا يصلح للخير صار مجبورا في فعل الشر وعن هذا جوزت
الاشعرية تكليف ما لا يطاق ونرد عليهم بقول الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فان قيل قال الله تعالى خبرا عن النبي عم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به فلو كان الامر فوق الطاقة لا يجوز لكان هذا السوال من النبي عم
لغوا كما لو قال لا تظلمنا ولا تجبر علينا قلنا سوال النبي عم كان على سبيل
التخفيف لا على سبيل نفي الطاقة اصلا دليله سياق الاية ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الا يرى انك اذا رايت دابة
حملت حملا ثقيلا تقول حملت هذه الدابة فوق طاقتها فثبت ان تعلقهم
بهذه الاية من ركاكة العقل وقلة الفهم وذكر في كتاب الاسولة وجوابها
وكل ذلك يرجع الى ما ذكرنا فافهم ان شاء الله تعالى ثم ذكر بعد هذا الخبر
المعروف ولكن المراد من الخبر ان الشقاوة المكتوبة في اللوح المحفوظ
تتبدل سعادة بافعال السعداء والسعادة المكتوبة فيه تتبدل شقاوة
بافعال الاشقياء وقالت الاشعرية لا يتبدل عن ذلك وعن هذا قالوا
ان ابابكر وعمر رضه كانا مومنين عند سجودهما للصنم وسحرة فرعون كانوا
مومنين في حال حلفهم بعزة فرعون واقرارهم بالالهية قلنا هذا مردود
عليكم بقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اثبت الغفران
لما سلف قبل الاسلام بالاسلام فلو كان الكافر مومنا قبل الايمان لفاتت
فائدة الغفران وتعطل كلام الرحمن وهذا من اقبح القبايح وقال عم

الاسلام يجب ما قبله والدليل عليه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يعني
يمحو المعاصي عند التوبة ويثبت التوبة وهذا قد اجتمعت عليه المفسرون
فان قيل القول بالتبديل يودي الى تجويز البداء على الله تعالى تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا قلنا هذا من قلة فهمكم انحسبتم ان في اللوح المحفوظ صفة
الله تعالى بل صفة العبد شقاوة او سعادة والعبد يجوز عليه التغيير من حال
الى حال فكذلك صفته متغيرة واما قضاء الله تعالى وقدره فلا تغيير فيها ولا
تبديل والقضاء صفة القاضي والمكتوب في اللوح المحفوظ مقضي محدث والحكم
غير محدث والمحكوم محدث والقدر غير محدث والمقدور محدث وتغيير
المقضي لا يوجب تغيير القضاء اذ الناس على اربع فرق فريق منهم قضى عليهم
بالسعادة ابتداء وانتهاء مثل الحسن والحسين وفريق قضى عليهم بالشقاوة
ابتداء والسعادة انتهاء مثل ابي بكر وعمر رضه وسحرة فرعون وفريق قضى
عليهم بالشقاوة ابتداء وانتهاء مثل ابي جهل واصحابه وفريق قضى عليهم
بالسعادة ابتداء والشقاوة انتهاء مثل بلعم وابليس فنفذ قضاوه على ما
جرى فالتغيير للمقضي عليه لا للقضاء قوله فيمن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
فيتبعه على ذلك اناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك قال لا فهذا يفيد ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتفع في هذا الزمان لانه ذكر بعده فقال
ان ما يفسد من استحلال المحارم وانتهاب الاموال اكثر مما يصلح وعن هذا قلنا
السلطان اذا كان جايرا فانه لا يجوز ان يخرج عليه بالسيف لما فيه من الفساد
ومن سفك الدماء وانتهاب الاموال قال ابو حنيفة رضه لا يفتركم جور من جار عليكم

ولا عدل من عدلكم وعليه وزنده وقال ابو مطيع البلخى رح هذا القول يفيد على
ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مرتفع فى هذا الزمان لان الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر ليس الا على الوجه لا على وجه الحسبة لله تع ثم ذكر بعد هذا احكام
الخوارج ولا يحتاج اليها وقوله فيمن قال لا اعرف الكافر كافرا فهو مثله لان
الاشياء لا تعرف الا باضدادها فلما لم يعرف الكفر لم يعرف الايمان وكذلك لو قال
لا ادرى اين يصير الكافر فانه يكفر لانه شك فيه لان الله تع اعلمنا ان مصيره
النار فصل مسئلة الاستثناء فى الايمان هى بيننا وبين السكاكية ونرد عليهم
بقوله تع اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وما استثنى وقال خبرا
من السحرة امنا برب العالمين من غير استثناء وقال الله تع اولئك هم المؤمنون
حقا وقال اولئك هم الكافرون حقا وقال مذبذبين بين ذلك وهم المنافقون
فصاروا على ثلثة اصناف ولم يذكر الصنف الرابع ولان الايمان عقد على ما
بينا فالاستثناء يبطله كساير العقود فان قيل روى عن النبى عم انه مر بمقبرة
فسلم عليهم وقال انا لاحقون بكم ان شاء الله تع فاستثنى فى الموت افترى
ان الموت مشكوك فيه وكذلك نحن لا نشك فى ايماننا ولكن يجوز الاستثناء فيه
قلنا سكوتكم كان خيرا لكم من تعلقكم بهذا الخبر لان النبى عم لم يستثن فى الموت
وانما استثنى فى اللحوق واللحوق مشكوك فيه اذ الفريق فريقان فريق فى الجنة و
فريق فى السعير وكل ما كان مشكوكا فيه يجوز الاستثناء فيه لقوله تع ولا تقولن
لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وكل ما كان متحقق لا يجوز الاستثناء فيه
كقولك هذا رجل ان شاء الله ولان من جوز الاستثناء فى الايمان يجوز الاستثناء

فى الكفر

فى الكفر وقد ذكرنا ان الاستثناء فى الكفر كفر مثله فان قيل انما يجوز الاستثناء فى الخاتمة
لانه لا يدرى ايموت على الايمان ام لا قلنا هذا استثناء فى الثبات على الايمان وذلك
مشكوك فيه والاستثناء فيه واجب عندنا ايضا وكلامنا ثم انما وقع فى الاستثناء
فى الايمان فاذا بطل الاستثناء فيه فى حال بطل فى جميع الاحوال والذى روى عن عبد
الله بن مسعود رض جواز الاستثناء فهو محمول فى الثبات على الايمان او كان ذلك زلة
منه فرجع عنها وقوله فيمن انه من اهل النار فقد كذب لانه اذا قال انا من اهل الجنة
فقد اسقط الخوف من نفسه وان قال انا من اهل النار فقد اسقط الرجاء عن نفسه
وكلاهما لا يجوز على ما بينا ثم اعلم بانه يجوز ان يقال فى الجملة ان المؤمنين فى الجنة
بلا شك لان فى جملة المؤمنين الانبياء والرسل والاولياء ويجوز ان يقال ان
الكافرين فى النار من غير شك فاذا شك فيه فقد كفر لانه انكر النص واما اذا اشرت
الى واحد بعينه فان كان المشار اليه من الانبياء والرسل او ممن شهدت لهم
الرسل والانبياء بالجنة فانه يجوز لك ان تقول هذا فى الجنة بلا شك فان شككت
فيه فقد كذبت على الله ورسوله وذلك كفر وان كان ذلك المشار اليه من غير
الانبياء او من غير من شهدت له الانبياء بالجنة فانه لا يجوز لك ان تقول هذا
فى الجنة الا بشرط وهو ان تقول ان مات على الايمان وكذلك فى الكفار على هذا
وان كان ذلك ممن نطق القرآن بكونه من اهل النار ان يقطع القول عليه بانه
فى النار والا فبالشرط قال ابو حنيفة رح من آمن بجميع ما يؤمن به الا انه قال
لا اعرف موسى وعيسى امرسلين ام غير مرسلين فانه يكفر لانه انكر النص
قال ابو حنيفة رض من قال لا اعرف ان الله تع فى السماء ام فى الارض فقد كفر لان

مطلب ان التعيين فى الجنة

هذا القول يوهم ان يكون له مكان فكان مشركا قال الله عز وجل الرحمن على العرش
استوى فان قال اقول بهذه الآية لكن لا ادري ان العرش في السماء ام في
الارض فقد كفر ايضا وهذا يرجع الى المعنى الاول في الحقيقة لانه اذا قال
لا ادري ان العرش في السماء ام في الارض فكانه قال لا ادري ان الله تعالى
في السماء ام في الارض قال الفقيه ابو مطيع اختلفوا في هذه المسئلة قالت
الكرامية والمشبهة بان الله تعالى على العرش علو مكانه وتمكن وان العرش
له مقعد ويصفونه بالقعود والنزول والمجيء والذهاب ويقولون هو جسم
لا كالاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واحتجت بقوله تعالى الرحمن على
العرش استوى الا انا نرد عليهم فنقول العرش لم يكن فكان بتكوينه
فلا يخلو اما ان يكون كونه لاظهار عظمته وجبروته على خلقه واما
لاحتياجه الى القعود فلا جائز ان يقال لاحتياجه الى القعود عليه لان
المحتاج لا يجوز ان يكون خالقا لانه مقهور بحاجته والمقهور لا يكون
اميرا فكيف يكون ربا فاذا ابطل هذا الوجه صح الوجه الاول وهو ان يكون
لاظهار جبروته على خلقه ولا حاجة له اليه ثم معنى الاستوى يعني استواء
المملكة له لان كل شيء مقدور والعرش مقدور والرب عز وجل وهذا
كما يقال فلان استوى على سريره ومد رجليه يعنون بذلك استواء امور
الولاية وانقطاع المنازعة في الامارة عنه وتاويل آخر وهو معنى الاستواء
يعني استوى خلقه على عرشه كما قال الله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش اي استوى فعل التخليق وقد رددناه

على

على المشبهة فلم يبق لهم شبهة في الاستواء ونرد عليهم في الجسم فنقول ان الجسم
لا يخلو عن عرض وجوهر والله تعالى خالق الاعراض والجواهر فلا يوصف بها فان
قيل اليس يقال له شيء لا كالاشياء فكذلك يقال له جسم لا كالاجسام قلنا
الشيئية عبارة عن الوجود وفي نفي الشيئية نفي الوجود وذلك لا يجوز وليس
الجسم بمثابته الا ترى انه لا يقال للكلام جسم ويقال له شيء وشيء عبارة عن
وجوده ولهذا قلنا انه لا يجوز ان يقال المعدوم شيء خلافا للمعتزلة فان قيل
فاي شيء يقولون في قوله تعالى خلقت بيدي قلنا اليد صفة وصف بها نفسه
فنؤمن به وبجميع صفاته وعلى هذا تاويل اليد وغيرها من الوجه والعين
والقدم والقدرة والقوة لان زوال هذه الاشياء في الحاضر يوجب الضعف
وزوال القوة والله تعالى قوي بدون الجارحة والمعطلة تنكر ان تكون اليد
والوجه والعين صفة له فلا وجه لانكارها لان في ذلك تعطيل كلامه و
تفويت صفاته مع ان لها تاويل صحيح والمشبهة وصفت الله عز وجل باليد
والقدم والجارحة وكلا الفريقين قد ضلوا وقالت القدرية والمعتزلة ان
الله تعالى في كل مكان واحتجوا بقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله اخبر انه في السماء وفي الارض اله الا انا نقول لهم لا حجة لكم في هذه الآية
لانه لو كان المراد ما قلتم لكان وهو الذي في السما كافيا فالوصف بالاله دل
على ان المراد به نفوذ الالوهية في السموات والارض ونحن نقول قول المعتزلة
في هذا اقبح من قول المشبهة لان قولهم يؤدي الى ان الله تعالى في اجواف السباع
والهوام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واما مذهب اهل السنة والجماعة ان

الله على العرش علو عظمة وربوبية لا علو ارتفاع ومكان ومسافة كما قال
ابو حنيفة رحمه نذكره من اعلا لا من اسفل لان الاسفل ليس من الربوبية
والالوهية فى شئ وروى فى حديث ان النبى عم اتاه بامة سوداء فقال
يا رسول الله وجب على عتق رقبة افتجزئ هذه فقال لها النبى عم امؤمنة
انت فقالت نعم فقال لها اين الله فاشارت بيدها نحو السماء فقال اعتقها
فانها مؤمنة والمعتزلة تنكر هذا الخبر وترده وذكر فى حديث معاذ بن جبل
ان شابا سأله فقال له ما تقول فى من يصلى ويصوم ويحج البيت ويؤدى
الزكوة ويجاهد فى سبيل الله غير انه شك فى الله ورسوله فقال معاذ هذا
له النار فقال له فما تقول فى من لا يصلى ولا يصوم ولا يحج ولا يؤدى زكوة
ماله غير انه مؤمن بالله ورسوله فقال هذا ارجو له واخاف عليه فقال
الشاب يا ابا عبد الرحمن كما لا ينفع مع الشرك عمل لا يضر مع الايمان ذنب ثم
مضى فقال معاذ ليس فى هذا الوادى افقه من هذا الشاب رحمه الله
قد ذكرنا الاختلاف فى هذا بيننا وبين الخوارج والقدرية فى ركاب الكبيرة
غير ان ههنا اختلاف بيننا وبين المرجئة ان المؤمن فى الجنة وان ارتكب
الكبيرة والمعاصى فانها لا تضر مع الايمان احتجوا بقول الشاب وعدم انكار
معاذ لقوله الا انا نقول خرج قول الشاب عقيب قول معاذ ارجو له واخاف
عليه فكان المراد من قوله ما هو المراد من قول معاذ لا يضر مع الايمان
شئ لان الايمان لا يرتفع بالكبيرة والدليل عليه ان الخوف واجب لان الله
تعالى امر عباده بالتقوى فى غير آى من القرآن وهو يوجب الخوف وعلى ان عدم

الخوف

الخوف يوجب اسقاط العبودية وتعطيل الربوبية وذلك غير جائز   ابو حنيفة رح
من قال لا اعرف عذاب القبر فهو من طبقة الحشوية الجهمية الهالكية اعلم ان
هذه مسئلة اخرى وهى المعتزلة والجهمية والقدرية يجعلون ان العقل حاسة
سادسة كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ويبنون الامور على عقولهم
ويقولون نرى ونشاهد ان الميت لا يتالم بالالم فى المشاهد فكذا فى الغايب
فلهذا انكروا تسبيح الجمادات ويقولون لو كان لها تسبيح لسمعناه وانكروا الميزان
والصراط ثم خروج اهل الايمان من النار والمعراج ورؤية البارى لان فى
العقول لا تسع هذا كله فنرد عليهم ونقول ان العقول محدثة معرضة للعجز
ز لا يجوز
والضعف والهلاك والتلاشى كما قال النبى عم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا
فى الخالق يعنى لا تحتاجون الى التفكر فى الله تعالى لئلا تتلاشى فهمكم وذهول
عقولكم فلعمرى انه ان ثبت الحس للعقل فللمعقولات المدركات وهو يتوقف
فى غير المعقولات حتى يرد السمع فيتبعه اذا كان سليما صحيحا غير سقيم مثل
اتباعه اياه فى المنافع والمضار فارادت القدرية والمعتزلة ان يدركوا
كنه الربوبية بعقولهم العاجزة الكالة حتى مرضت عقولهم ثم سقمت افهامهم
ففوتوا المعرفة وزاحموا المنافقين فى هذا قال الله تعالى فى شان المنافقين فى
قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم فكل عقل اذا كان سليما يتوقف
فى ما لا يستدرك بالعقل حتى يرد السمع فاذا ورد السمع فيتبعه ومن الدليل
على ذلك ان عذاب القبر كائن قوله تعالى سنعذبهم مرتين جاء فى التفسير
مرة فى القبر ومرة فى القيمة وقال الله تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك وهو

عذاب القبر وقال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر
جاء في التفسير ان العذاب الادنى هو عذاب القبر والدليل على تسبيح الجماد قوله
تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة ثم ان اصحاب الهوى والبدعة اصناف شتى كلهم في النار
وروى عن النبي عم انه قال افترقت بنو اسرائيل على اثنين وسبعين فرقة
وستفترق امتي على ثلثة وسبعين فرقة كلهم في النار الا السواد الاعظم
وقال عم من احدث حدثا في الاسلام فقد هلك ومن ابتدع فقد ضل
ومن ضل ففي النار الى آخر ما ذكرناه   اعلم ان المشية صفة الشائي
والارادة صفة المريد والامر صفة الآمر والعلم صفة العالم والكلام صفة
المتكلم فان قال قائل صفات الله واحدة او متغايرة قل ليست هي واحدة ولا
متغايرة لانا لو قلنا واحدة فقد عطلنا صفاته وهو مذهب القدرية انهم
يجعلون الارادة والمشية والقضاء والقدر والحكم كلها على معنى العلم وعن
هذا ينفي المشية والارادة والقضاء عن الشر وكلام الله تعالى يرد عليهم في غير موضع
من القرآن وقد بينا ذلك وان قلنا هي متغايرة فقد اوقعنا المغايرة بين الذات
والصفات وهو مذهب المعتزلة والاشاعرة انهم يجعلون صفات الفعل محدثة
وذلك لا يجوز فلذلك لا تجوز المغايرة بين الذات والصفة ثم صفة الله تعالى
لا هو ولا غيره عند اهل السنة والجماعة وهي غير محدثة سواء من صفات
الذات ومن صفات الفعل ولا يوصف بعضها بالسبق على بعض وقوله لكن
سبقت مشيته وقالت القدرية هي غيره وتابعها الاشعرية وهذا فرع لمسئلة

اخرى

اخرى وهي ان صفات الفعل محدثة عندهم وقالوا انا نرى في الشاهد ان المكتوب
لا يكون الا بالكتابة ولا يحصل فعل البناء الا بالباني ولا المفعول الا بالفعل فكذلك
في الغايب وعن هذا قالوا انه خالق بخلقه ورازق برزقه وآمر بامره ومريد
بارادته ونحن نقول لم يزل خالقا ولم يزل رازقا ومريدا لم يزل كما نقول انه عالم
لم يزل عالما وقادر لم يزل قادرا وسميع لم يزل سميعا وبصير لم يزل بصيرا وفي هذا
اتفاق لانه من صفات الذات ثم صفات الذات الجلال والكبرياء والقدرة
والعلم والسمع والبصر والكلام وما سواها من صفات الفعل كالتخليق والترزيق
والفعل والارادة والمشية والقضاء والحكم ونرد على القدرية ثم الاشاعرة فنقول
ان الباني بان وان لم يبن والكاتب كاتب وان لم يحصل فعل الكتابة فكذلك
يجوز ان يكون الرب خالقا وان لم يخلق والدليل عليه انه لو لم يكن خالقا
قبل خلقه ثم احدث لنفسه فعل الخلق فخلق الخلق به لبطلت تلك الصفة عند
فراغه من فعل الخلق فيبقى عاجزا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد قال الله تعالى
كل يوم هو في شان ولان الشئ المحدث محل التغير فكما لا يجوز التغير على ذاته
وصفاته الذاتية لا يجوز التغير على صفته الفعلية ولانه لو كان يحدث صفته
واسماه لكان شبيها بخلقه وهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ان
المذهب الصحيح ان الله تعالى موصوف بجميع صفاته في الازل ذاتية كانت او
فعلية وان صفته لا هو ولا غيره على معنى انه لا تزايله كلون الشئ لا هو
عين الشئ ولا غيره ولم يرد بهذا التشبيه وانما اراد به ايضاح الكلام وسئل
ابو منصور عن صفة الله تعالى ما هو فقال لا هو ولا غيره قيل له لا هو ولا غيره

ما هو صفته فقال صفته لا مجاوزة عن هذا ثم يجوز ان يقال عالم بعلمه وقادر
بقدرته وهذا كلامه في جميع الصفات الذاتية لان الصفات الذاتية لما كانت
ازلية من غير خلاف لم يكن في هذا اللفظ جدل فاما في الصفات الفعلية
فلا يجوز ان يقال خالق بخلقه لتمكن اختلاف اصحاب الاهواء كيلا يقع فيه
الشبهة ومشايخ سمرقند قد احترزوا عن هذا ايضا فقالوا عالم
وله علم وهو موصوف به في الازل وقادر وله قدرة وهو موصوف بها
في الازل ومتكلم وله كلام وهو موصوف به في الازل لان الباء توهم الآلة
كما يقال قاطع بالسكين وضارب بالسيف ثم ههنا اختلاف آخر في الكلام
قالت المعتزلة الكلام مخلوق وبعضهم قال الكلام محدث ولم يطلقوا
عليه اسم المخلوق ولا فرق بين اللفظين واحتجوا بقوله تع انا جعلناه
قرانا عربيا والجعل انما هو الخلوق الا انا نقول هذا بين الاشعرية والمعتزلة
لان الجعل لا ينبئ عن الخلوق كما قال تع خبرا عن الملحدين الذين جعلوا
القرآن عضين افترى الجعل ههنا هو الخلوق وقال تع وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وقال تع وجعلوا الله شركاء الجن والدليل
عليه انه لو جعل القرآن محدثا لجاز الخرس عليه قبل احداث الكلام
والاخرس لا يصلح ان يكون اميرا فكيف يصلح ان يكون ربا فان قيل
المكتوب في المصحف ما هو قلنا كلام الله تع وكذا المقرؤ في المحاريب ولكن
الحروف والهجاء واللهوات والصوت كلها مخلوقة فكلام الله تع لا صوت
فيه ولا حروف ولا هجاء وعن هذا احترزوا مشايخ سمرقند فقالوا القرآن كلام

الله تع

الله تع ليس بمخلوق ولكن لا يقع على الحروف والهجاء واللهوات وقالت الاشعرية
ان ما في المصحف ليس بكلام الله وانما هو عبارة عن كلام الله تع عز وجل وحكاية
عنه وعن هذا جوزوا احراق المصاحف وما فيها وقال لان الكلام صفة والصفة
لا تزايل الموصوف الا انا نقول هذا الهوس من الاشعرية اكثر من هوس المعتزلة
لان المعدوم معلوم بعلم الله تع افترى ان صفة العلم تزايله بكون المعدوم
معلوما فكذلك الكلام لا يوصف بالمزايلة لظهور المكتوب في المصاحف ولسنا
نقول ان الكلام حال في المصاحف حتى يكون قولا بالمزايلة يدل عليه انه لو لم يكن
المكتوب كلام الله تع لكان كلام الله معدوما فيما بين العباد فيؤدي الى تفويت
خطاب الله تع واما الاحدية والوحدانية فان الاحدية صفة للذات والوحدانية
والواحدية ح
صفة للفعل فيقال احد بذاته واحد بفعاله ثم احديته ووحدانيته ليست من
جهة العدد لان الاحدية والوحدانية من حساب العدد يحتمل الزيادة و
النقصان والشركة والمثال فيقال احد وواحد واحاد ووحيد لانه يقال فلان
رجل وحيد زمانه وفريد اقرانه واما احدية الرب جلت قدرته من جهة
نفي المثال والانداد عنه كما قال تع ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال ابو منصور
والكاف ههنا زيادة لانها لو لم تكن زيادة لكان يوهم ان له مثلا ليس كمثله مثل
فالمعنى ليس مثله شيء فاما وحدانيته من جهة نفي الشريك عنه في افعاله
كما قال تع فعال لما يريد ولهذا قيل في التمجيد احد لا مثل له واحد لا شريك له ثم
مسئلة المشية والارادة ذكرناها من قبل الا ان ههنا يقال سؤال آخر هل امر
الله تع بشيء ولم يشاء لخلقه او يشاء شيئا ولم يأمر به خلقه هذا العبارة قد

ذكرناه لانه خلق الكفر وشاءه ولم يأمر به خلقه وامر الكافر بالايمان ولم يشاءه

له فان قيل مشية مرضية قلنا هي مرضية فان قيل اذن يعاقب الله عباده على

ما يرضى قلنا لا بل يعاقبهم على ما لا يرضى لانه يعاقب الكافر على كفره غير مرضي

فان قيل اليس قلت ان المعاصي والكفر بمشية الله تعالى ومشيته مرضية قلنا

نعم ان المشية والارادة والقضاء وجميع صفاته مرضية غير ان الحاصل من

العبد بمشية الله تعالى قد يكون مرضيا نحو الطاعات وقد يكون مسخوطا

كالمعاصي فاعتبر هذا بالاعيان انه خلق نفس الكافر بلا خلاف وليس

يرضى بنفس الكفر وكذلك الخمر ثم الخنازير فكذلك هذا في الافعال فان قيل هل

كان الله يقدر على ان يخلق الله كلها مطيعين كالملائكة قلنا نعم لقوله تعالى

قل فلله الحجة البالغة فلو شاء الله لهديكم اجمعين وقال تعالى ولو شاء الله

لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم ثم اعلم ان الملائكة خلقوا للطاعة وهم

معصومون الا هاروت وماروت فانهما مخصوصان من بين الجملة و

الشياطين خلقوا للشر الا واحد منهم قد اسلم ولقي النبي عم فاسلم على يديه

وهو هامة بن الهيم بن ابليس لعنه الله فعلمه النبي عم سورة الواقعة

والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون

وسورة الاخلاص فانهم مخصوص من بينهم واما الانس والجن فانهم

خلقوا على الفطرة ثم اختلفوا في تفسير الفطرة فقالت المعتزلة هي الاسلام

وعن هذا قالت ان الكافر يكفر بنبذ الاسلام واظهره بفعله من غير مشية

الله تعالى وقد مر الكلام في المشية والجماعة هي الخلقة كما قال الله تعالى فطرة الله

التي

التي فطر الناس عليها وقال تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها

وقال عم كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه

اي يكونان سببا للتهود والتنصر ويمجسانه حتى يعرب عنه لسانه اما بحق

او باطل اي لو ترك على الخلقة التي ولد عليها لاستدل على خالقه الا ان ابويه

يهودانه وينصرانه كما قال في شان الالهة رب انهن اضللن كثيرا من الناس

اي صرن سببا للضلالة فاذن الانس والجن خلقوا على صفة الاسلام

وعلى صفة الكفر ثم من اهتدى اهتدى بهداية الله تعالى ومن ضل ضل

باضلال الله تعالى له كما قال تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء فالهداية

والاضلال صفة الرب عز وجل والاهتداء والضلالة فعل العبد والرب تعالى

بجميع صفاته خالق لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فلم نجد مثله صفة

كما بينا والعبد بجميع صفاته مخلوق ثم الجن والانس غير معصومين عن الكباير

والصغاير الا المرسلين والانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم معصومون

عن الكباير لانهم لو لم يكونوا معصومين عن الكباير لم ينفكوا عن الكذب

لا يصلح للنبوة من غير معصومين عن الصغاير لوقف الضعف في مقام

الشفاعة لان من لا يبلى بالبلية لا يرق على المبتلى فهذا هو الحكمة في زوال

العصمة عن الانبياء في الصغاير وبعض اصحابنا لم يتلفظ الصغاير وانما

يسمونها زللا ولا فرق بين اللفظين في الحقيقة وقالت المعتزلة الانبياء

والرسل معصومون من الكباير والصغاير لانهم لا يرون الشفاعة ثم ان

الرسل هم الذين يوحى اليهم بجبرائيل عم والانبياء الذين يوحى اليهم مع غير

جبرائيل وانما يوحى اليهم مع ملك اخر اويرى فى المنام اوبشئ من الالهام ثم ان الوصول
له درجة الرسالة والنبوة جميعا غير انه لايؤمر باستعمال ماظهر له فى درجة النبوة قبل
ان يوحى اليه بجبرائيل عم فبذلك يكون زلة منه وصغيرة كما فعل داود عم وهو تزويج
امراءة اوريا من غير انتظار الوحى بجبرائيل عم فكان ذلك زلة منه كما قال فى كتابه
العزيز وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب والنبى عم لما
انتظر الوحى فى تزويج زينب امراءة زيد لم يتزوج بما ظهر له من درجه النبوة
نجى من الزلة قال الله تع فى قصته فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فهذا هو
الوجه فى وقوع الانبياء فى الزلل والصغاير وفيه وجه اخر وهو ان يتركوا الافضل
ومالوا الى الفاضل فيكون ذلك زلة منهم كابينا ادم عم حين قال له ربه ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ثم ان ابليس وسوس لهما وقاسمهما وناشدهما
بالله حين نسى ادم عم النهى من طريق الافضل وظن ان ابليس يحترم اسم الله
تع بقربان الشجرة فكان تاركا للافضل اذ الافضل له ان يمحل الامر ولا يدخل فى
الاجتهاد فلما نسى الامر ودخل فى الاجتهاد كان ذلك زلة منه حتى قال جل جلاله
وعصى ادم ربه فغوى هذا من الله تع على وجه الزجر والعيبة لا على وجه الكبيرة
والغواية فيه الايرى ان ادم عم لما انتبه هو وحوا قالا ربنا ظلمنا انفسنا و
ان لم تغفر لنا وترحمنا قال الله تع فنسى ولم نجد له عزما فهذان الوجهان فى
وقوع الانبياء والمرسلين فى الزلل والصغاير ثم اختلفوا فى تفضيل ادم ومحمد عم
قال بعضهم ادم افضل من محمد عم وقال بعضهم محمد افضل من ادم وهذا اصح من
الاول وقال بعضهم السكوت افضل لحرمة الابوة وهذا الاختلاف فى ما بين
مشايخنا

مشايخنا واختلاف بيننا وبين المعتزلة قالت المعتزلة الملائكة افضل من المؤمنين
وقال اهل السنة المؤمنون افضل من الملائكة لان المؤمنين ركب فيهم الهوى
مع العقل والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى فلهذا يثاب المؤمنون
على اعمالهم ولا يثاب الملائكة على اعمالهم فحسبت المعتزلة ان الفضل بالاعمال
حتى قالت بتفضيل الملائكة على المؤمنين وليس كما حسبوا بل الفضل كما قال الله تع
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات •
اضاف التفضيل الى ذاته وهذا الاختلاف يرجع الى اختلافنا معهم فى تفويض
الاعمال الى العباد ونفى خلق افعالهم وقد بينا ذلك ثم بعد الانبياء والرسل افضل
الناس ابو بكر ثم عمر بن الخطاب رض ثم اختلفوا فى عثمان وعلى رض قال بعضهم عثمان
افضل من على كما فى مراتب الخلافة وقال بعضهم على افضل من عثمان رض واختلفوا
فى تفضيل فاطمة الزهراء وعايشة رض قال بعضهم عايشة افضل لان درجتها مع
النبى عم فى الجنة وقال بعضهم فاطمة افضل وانما ارتفعت فاطمة تبعا للنبى عليه السلام
قال الفقيه رح قد ذكرنا مسائل هذا الباب الا مسئلة واحدة وهى مسئلة خلق
الجنة والنار وهما مخلوقتان ام لا قالت الجهمية والمعتزلة غير مخلوقتان لان الله تع
ليس بعاجز عن خلقهما فيخلقهما وقت افتراق الفريقين ونرد عليهم فى شان
الجنة بقوله تع اعدت للمتقين وفى النار اعدت للكافرين ولان قولهم يؤدى
الى تكذيب الله تع فى خبره لانه تع خوف الكافرين فى النار ورغب المؤمنين
فى الجنة والمتخوف به لغو وعبث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فى الكتاب
هما شئ اوليست بشئ هذا ايضا يختلف فيه ان المعدوم شئ ام لا فقالت المعتزلة

هما شئ واحتجوا بقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم والزلزلة معدومة فسماها
الله شيئا الا انا نقول لهم لا يكون الزلزلة شئ عظيم وتكونها ووجودها لانه سماها
الى الحال شئ عظيم فان قيل ان المعدوم يسمى معلوما فلم لا يسمى شيئا قلنا لو لم نسمه
معلوما لوصفنا الله تعالى بالجهل وحاشا ان يوصف الرب بالجهل ولو سميناه شيئا
لقلنا بصدور الاشياء بنفسها وبقدمها وهو مذهب الزنادقة والدهرية ثم
الافلاكية وهم شر الدواب لانهم ينكرون الصانع ويقولون بقدم الدهر و
يضيفون الامر الى الطبايع وترد عليهم فنقول ان العالم محدث وان له محدثا
والدليل على هذا تغير الاشياء من حال الى حال من رطوبة الى يبوسة ومن صحة
الى ضعف ومن استواء الى اعوجاج فلو كانت بنفسها لما تغيرت عن حالها فلما
تغيرت عن حالها دل على ان لها مغيرا ومحدثا كما روى عن ابى حنيفة رح
انه ناظر دهريا والزم عليه الحجة فقال الدهرى انما تتغير الاشياء من حال الى حال لان
بناءها من الطبايع الاربع رطوبة ثم يبوسة وبرودة وحرارة فما دامت هذه الطبايع
الاربعة موجودة فصاحبها مستوى ومتى غلبت الطبيعة منها على سايرها
زالت عن الاستواء فقال ابو حنيفة عند ذلك اقررت بالصانع والمصنوع والغالب
والمغلوب من حيث انكرت لانك قلت بان احد الطبايع تغلب على سايرها
وسايرها يصير مغلوبا فثبت ان الغالب غالب فى الجملة فقد تعدينا من مسائلكم
فقلنا ان الغالب ليس الا الله عز وجل فجعل الدهرى ساكتا فقال ابو حنيفة لى
ان اتكلم مع الخصم حتى يهذى وليس لى ان اتكلم حتى يخرس لان الخرس
معجزة والمعجزات للانبياء عم لا لغيرهم فاذا الجنة والنار شئ لانهما موجودتان

والساعة لا تسمى شيئا لانها ليست مخلوقة الا انا لا تظهر للاحياء فاذا مات
الانسان ظهرت له واحتجت بقوله عم من مات فقد قامت قيامته الا انا نقول
معناه انه يظهر له حال سعادته وشقاوته من ضيق القبر وسعته وكونه روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النار ولنزع الروح على الاسلام او على غيره والدليل عليه ان الساعة
منتشرة ما بين السماء والارض غير مقتصرة فلو كانت موجودة لكانت ظاهرة قال ابو منصور
رح ما اهون القيمة فى قول المعتزلة انها موجودة فيما بيننا ولا تظهر اهوالها واختلاف
اخر فى الجنة والنار انهما تفنيان عند الجهمية والقدرية والمعتزلة الا ان المعتزلة
لا يصرحون بذلك لانهم يجعلون الثواب بازاء الاعمال والعقاب بازاء الكفر
والمعاصى الا انا نرد عليهم بقوله تعالى فلهم اجر غير ممنون وقال تعالى فى نعيم الجنة لا مقطوعة
ولا ممنوعة فان قيل القول ببقاء الجنة والنار يؤدى الى الشركة مع بقاء الله تعالى وقد
قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه قلنا هذا من توهماتكم وهو سهوكم فان الجنة والنار
لم تكونا مكانا بتكوين الرب جلت قدرته اياهما وتدوما بدوام الله اياهما ايضا
لا يوصف بصفات المخلوقين البتة وقد ذكرنا الكلام فى الصفات وهو يغضب
ويرضى لان من لا يغضب ولا يرضى لا يكون امرا وناهيا تعالى الله عن ذلك غير ان
غضبه ورضاه صفته لا هو ولا غيره و   فى الكتاب غضبه هو عقوبته ورضاه
ثوابه يعنى مغضوبه عقوبته ومرضيته ثوابه لان عقوبته ناره وثوابه جنته
وهما محدثتان الا ان عقوبته لما كانت بغضبه وثوابه لما كان برضاه جاز ان يقال
غضبه عقوبته وثوابه رضاه   وقد ذكرنا الايمان مع تفاصيله وفروعه من قبل
هو فى اصبعك وقد ذكرنا فى الكتاب انتشار نور الايمان ايضا فى جميع الاعضا

من قبل قال اذا انقطعت الاصبع يذهب الايمان منها الى القلب فهذا صحيح لان المعنى
الذى قارنه الايمان فى الجسد وهو لا يتجزى فقام بذلك المعنى فان قيل اذا مات
العبد فاين يذهب ايمانه ايكون مع جسده او مع روحه قلت لا بهذا ولا بذاك •
ولكن بالمعنى الذى صار بها العبد مؤمنا واصلا للايمان وبها صار صالحا العبادة
ربه فى حال الحياة وجعل اياه صالحا للعبادة فان قيل اى شئ ذلك المعنى قلنا
هى توفيق الله تع جبينه على ما بينا من قبل فان قيل اين يذهب سابق اعماله قلنا
اتصلت بثواب الله تع او بعقابه فان قيل باى شئ يعرف الله تع قلنا فى ذلك
اختلاف قال بعضهم يعرف بالعقل وبه قالت المعتزلة وعن هذا قالوا بان الايمان
بالتقليد لا يصح ويقولون يكفر العوام لان الناس عندهم فى العقل سواء وسووا
عقول الكفرة والفجرة بعقول الانبياء والرسل وقالت الاشعرية يعرف الله تعالى
بالله تع لا بغيره وعن هذا قالوا ان احدا لا يعرف الله تع حق معرفته وان كان
نبيا او مرسلا او ملكا مقربا وهو يعرف نفسه بنفسه حق معرفته وغيره من •
الملائكة والمؤمنين يحاكون عنه ولا يتعجب منهم لانهم شاكون فى ايمانهم ونرد
عليهم بقوله تع شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فالله تع جمع بين
شهادته لنفسه وبين شهادت الانبياء واولى العلم فمن اوجب الشك فى شهادة
العبد فقد اوجب الشك فى شهادة الرب وقال الله تع فى شان الكفرة ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوا الله حق معرفته فهذا
اوقع التسوية بين الكافر والمؤمن وكفى به شينا وقبحا واما مذهب اهل السنة
والجماعة ان الله تع يعرف بتعريفه كما قال الله تع فهو على نور من ربه فاذا كانت

المعرفة

المعرفة بتعريفه فقد وقعت موقع الحقيقة ولكنا لا نعبد حق عبادته لان الواحد
منا اذا جمع عبادة اهل السموات والارض ثم قوبلت تلك العبادات كلها بقطرة
واحدة فى عينه ما قوبلت فان قيل اليس ان العبادة بتوفيقه فلم لا تقع موقع
الحقيقة قلنا لا نقول ان العبادة الخالصة لا تقع موقع الحقيقة وليس هى بحق
العبادة بل هى حق الله ولكن معنى قولنا لا نعبده حق عبادته لانا ضعفاء •
عاجزين ولا ننفك عن التقصير وايقاع الخلل
فى العبادة وهذا المعنى معدوم فى المعرفة
والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب تم

تم بيد محمد بيك قلعه ... جمادى الآخر ١٠٦١

